



قرآن يتلى لإنسانية ترقى

تفسير آيات الصيام

من وسيط سورة البقرة

أ.د. عبدالستار محمد الجعيد



المناسبة والاتصال:

ذكر الله مجالين من المجالات الحياتية العامة هما مجال حفظ الحياة من خلال نظام القصاص العادل، ومجال الترابط المجتمعي للأجيال من خلال نظام الوصايا، وتنفيذ هذين النظامين وجميع أنظمة العبادة التي تبني الحياة يعتمد على ضبط النفس وتقواها.. هنا ناسب أن يذكر الله تعالى عبادة تعين على التهذيب والتأديب والتقوى وضبط النفس، ويعين الله فيها عباده بطرق إلهية استثنائية في حياة البشر، فتقبل عليها البشرية بصورة لا توجد في غيرها من العبادات.. إنها عبادة الصيام.

النظام القرآني للصيام:

الأسس العامة لنظام الصيام

الفصل
الأول:

تكون هذا الفصل من ست مواد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة: 183) فرض الله الصيام على المؤمنين في الأمة الخاتمة ومن قبلهم؛ لأهميته في تدريب النفوس وتربيتها

المادة
الأولى:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أعظم أهداف نظام الصيام تكوين التقوى فردياً وجماعياً، والتقوى تعني الضبط النفسي التام ليتقي الصائم الشرور الذاتية، وهو عبادة لم يعبد بها غير الله، ولعله من أجل ذلك قال الله تعالى (إلا الصوم فإنه لي)..

المادة
الثانية:

المادة
الثالثة:

المدى الزمني للقيام «أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ» (البقرة: 184)، فهو مناسب لتكوين التقوى، فليس قليلاً
مخللاً، ولا كثيراً مملاً.

المادة
الرابعة:

القيام لنفع العباد لا لتعذيبهم، ولذا يُعذر أصحاب الأعذار، وهم أربعة أصناف:

الصف الأول والثاني:

«فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة: 184) المرضى مرضاً مؤقتاً والمسافرون،
—وهم من يقدر على القيام لاحقاً— فهؤلاء يفطرون ويقضون.

الصف الثالث والرابع:

«وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ» (البقرة: 184) أطاق أن يعمل أي استنفذ كل طاقته،
فتبصرنا الآية بمن أطاق القيام بمشقة عظيمة: مثل كبار السن، والمرضى مرضاً لا يرجى
برؤه، فهؤلاء يجوز لهم الفطر، ويطعمون عن كل يوم مسكين

المادة
الخامسة:

«فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ» (البقرة: 184) تطوع القيام أو تطوع الإطعام خيرٌ
للمتطوعين في الدنيا والآخرة، أي فمن زاد على الأيام المعدودات صياماً أو زاد على
طعام المسكين فهو خير له.

المادة
السادسة:

«وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة: 184) تبصرنا بأن نظام القيام ليس للتعذيب
بل للتدريب والتهذيب، فهو نظامٌ لصالح العباد صحياً ونفسياً وإيمانياً.

النظام التفصيلي للصيام الواجب:

تكون هذا الفصل من إحدى عشرة مادة:

المادة الأولى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ (البقرة: 185) وقت الصيام المفروض تحديداً هو شهر رمضان، فبعد أن ذكر الله تعالى أن الصيام «أياماً معدودات» تهيئة لهم ببيان محدودية أيامه، فصار هذا بياناً عاماً ذكر فيه أنه يعذر أصحاب الأعذار، ثم بين موعد الأيام المعدودات وهو شهر رمضان

المادة الثانية:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: 185) سبب تخصيص رمضان بالصيام نزول القرآن فيه، ولشدة الحفاوة بالقرآن في شهر الصيام وصف الله القرآن هنا بثلاث صفات:

الصفة الأولى:

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ رشاداً للناس إلى سبيل الحق والسعادة في الحياة.

الصفة الثانية:

﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾ ووضحات من البيان الدال على حدود الله وفرائضه وحلاله وحرامه.

الصفة الثالثة:

﴿والفرقان﴾ والفصل بين الحق والباطل، وبين السعادة والشقاء.

المادة الثالثة:

صوم رمضان فرض لمن شهد الشهر ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: 185) ومعنى شهد أي حضر الشهر.

المادة الرابعة:

الاهتمام بدوي الأعذار، وتوفير البدائل المناسبة لهم ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: 185) يقضيه أصحاب الأعذار بأيام أخرى وقت استطاعتهم وأعاد ذكرهم لأن ما سبق كان كلاماً عن الأسس العامة للصيام، وهنا كلام عن رمضان وأهميته.

أهم أهداف الصيام سبعة:

الهدف
الأول

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183) تكوين التقوى في النفس البشرية، والمجتمع الإنساني، وقدّم هذا الهدف لأنه هدف الأهداف وغايتها، وما بقي فتفصيل له.

الهدف
الثاني

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185) فالصيام يبرز اليسر في الحياة والدين.

الهدف
الثالث

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (البقرة: 185) اعتياد الانضباط بإكمال العدة.

الهدف
الرابع

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة: 185) تعظيم أرحم الراحمين الهادي الموفق.

الهدف
الخامس

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 185) شكر الله الذي يسعد الدنيا بالدين.

الهدف
السادس

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: 186) القرب المباشر من رب العالمين، والتعود على دعائه.

الهدف
السابع

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186) الوصول إلى الرشد الفردي والجماعي، مما يترتب عليه صلاح الفرد والجماعة، والصواب في القرارات الشخصية والعامّة ضمن ميدان الابتلاء في هذه الحياة. وترى أن الله وسّط ذكر الأهداف وبثها بين مواد الصيام وأحكامه لتذكّر وتستحضر، فلا تطفئ عليها الأحكام التي هي وسيلة إليها، ولئلا يهمل الناس الغاية مشغولين بالوسيلة.

المشروع في الصيام: تباح الشهوتان في مواضعهما: الشهوة الأولى: إتيان النساء ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ
الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: 187)، وعدى "الرفث" بـ"إلى" ليشتمل معنى الإفشاء الذي يراد به
الملاعبة.

وأما سبب التحليل فصلاحيه الشرعية للفطرة الإنسانية، وذكر الله ستة أسباب تبين المكانة الفطرية للنساء
في قلوب الرجال:

السبب الأول

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ بيان منزلة الزوجية وحرص الشريعة على تميمتها، فسعادة الرجال
والنساء أن يكون كل منهما لباساً للآخر بالتكامل الوظيفي، والدفء الجسدي، والتبادل الأسري.

السبب الثاني

الضعف البشري يستنزل العطف الإلهي ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب، وعلم أنكم كنتم تَنْتَقِصُونَهَا بَعْضَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهَا أَوْ
تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ فتظلمونها بمنعها مما تشتهي من أمر النساء، فالتفكير المتبادل بين الرجال والنساء
طبيعة فطرية، والشريعة لا تضادها بل تنميها.

السبب الثالث

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم مما حدث من الاختيان، وخفف بالرخصة بقضاء الحلال مع
النساء، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ (الزمل: 20) يعني خفف عنكم

السبب الرابع

﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ بمحو الذنب، والتوسعة والتسهيل في نظام الصوم.

السبب الخامس

﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ الحاجة للاتصال الزوجي بين الرجال والنساء حيث حث على قضاء
الشهوة الحلال في ليالي أيام الصيام، و"المباشرة" ملاقاتة بشرة ببشرة، و"بشرة" الإنسان:
جلدته الظاهرة، والمراد: الجماع ودواعيه من تقبيل، ومعانقة ونحو ذلك.

السبب السادس

لا العبادة تشغل عن مسابرة الفطرة ولا الاستجابة للطبيعة البشرية تنسي العبادة ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ
لَكُمْ﴾ فالمباشرة للاتصال الزوجي مما كتب الله لنا، ويدخل في ذلك عدم نسيان الأهداف الأخرى من
سكينة النفس بالسكون إلى الأهل مع طلب الولد، وابتغوا ما كتب الله لكم من ليلة القدر.

المادة
السابعة:

المشروع في الصيام: تباح الشهوتان في مواضعهما: الشهوة الثانية: الجمع بين عبادة الصيام وقضاء شهوة الإنسان يضعف البدن فأرشد الله إلى وسيلة الطعام "الأكل والشرب" ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ وبدأ بذكر النساء قبل الطعام لبيان معالجة هذه الشهوة الشديدة عند البشر، ثم ذكر الطعام لبيان التلذذ بالجمع بين الشهوتين، وأن الأولى مفتقرة للثانية، ولذة الثانية لا تكمل دون الأولى.

المادة
الثامنة:

الميعات الزماني للمشروع والممنوع في الصيام ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: 187) أي سواد الليل وبياض النهار، وآخر ذكر حد الميعات الزماني التفصيلي ليكون أوقع في النفس، وأظهر في رحمة الشارع بعد ذكر المباحات.

المادة
التاسعة:

﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة: 187) يشرع فعل أحد الشهوتين عند الاعتكاف وهي الطعام، ويحرم فعل الأخرى، وهي مباشرة النساء، وذلك زيادة في الترقية والمجاهدة والجمع بين إعطاء الجسد حقه بالطعام، وتلبية مطالب الروح بالإنس بالملك القيوم السلام.

المادة
العاشرة:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة: 187) المحرمات في نهار الصيام أو ليله، والمباحات في نهار الصوم وليله كلها حدود لا ينبغي القرب منها؛ لأن القرب يفضي إلى المس ثم التعدي والانتهاك، فحد الشيء: منتهاه مما لا يجوز دخول ما بعده، والمراد: لا تتعرضوا لها بالتغيير والتأويل والتحريف، والمخالفة.

المادة الحادي
عشر:

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 187) أهم غايات نظام الصيام وأهدافه إيصال الناس إلى التقوى التي تعينهم على نظام السعادة الحقيقي في الدنيا.